



# العاصفة مجلة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة  
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

## الصهيونية وتهجير اليهود إلى فلسطين (من ١٨٥٤ إلى ١٩٤٧)

جعفر صادق ب. ب.

باحث، قسم العربية، كلية مهاراجاس، إرناكلام، كيرالا، الهند

### مقدمة

بدأت القضية الفلسطينية بظهور ما يسمى بالحركة الصهيونية (١). فأما اغتصاب فلسطين، وخلق إسرائيل، وإجلاء اللاجئين الفلسطينيين، لم تكن كلها نتيجة لقرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ فقط، كما يحاول الاستعمار ودعايته تصوير ذلك. ولا هي أيضا نتيجة للظروف والمواقف التي وقفها هذا الطرف أو ذاك من هذا المشروع، أو نتيجة للحوادث التي رافقته أو أعقبته عام ١٩٤٨م فحسب، إنما كانت أيضا نتيجة لخطة استعمارية قديمة، وضعت وأقرت من قبل الاستعمار العالمي الذي كانت بريطانيا تتزعمه وتمثله آنذاك. وهي نتيجة لخطط الصهيونية العالمية التي أخذت منذ أواخر القرن التاسع عشر تحلم بالدولة اليهودية وتعمل بضغط ونفوذ لأن تكون فلسطين أرض هذه الدولة، ووطنا لهم.

### تهجير اليهود إلى فلسطين

ومنذ القرن الثاني للميلاد، كان عدد اليهود في فلسطين (٢) ضئيلا في مرحلة ما، وضئيلا جدا في مراحل أخرى. فمُنذ نكل هديران باليهود، ومنعهم من دخول أورشليم سنة ١٣٥م تشتت اليهود، لكنهم أينما تفرقوا واستقروا عاشوا كجماعات دينية، محتفظة بخصائص متعددة للجماعات الاثنية. ومما لا شك فيه ان أوضاعهم الإجتماعية والاقتصادية كانت متفاوتة، وفقا للزمان والمكان. وكان يغلب عليهم الشعور بأنهم أقلية ثانوية. وكلما اشتدت المحن بهم، قادم الحنين والذكريات الى "أرض إسرائيل". وبعد جهد كبير، ففي سنة ١٨٥٤م امتلك اليهود أول قطعة أرض في مدينة القدس، وقد أطلق عليها حي "مونتفيوري" نسبة إلى موسى مونتفيوري الثري البريطاني. وفي سنة ١٨٧٠م، منحت الحكومة اليهود أرضا أقاموا عليها أول مدرسة زراعية عرفت بمدرسة "نيتير" قرب يافا. وعندما زار ولي عهد بروسيا، القدس، أهده السلطان عبد العزيز أرضا من المستشفى الصلاحي، وقد بنيت عليها فيما بعد كنيسة الدباغة. وفي سنة ١٨٦٩م، نزلت أول جالية ألمانية في مدينة حيفا واستقرت فيها.

وفي سنة ١٨٨٢م أسس المهاجرون الصهيونيون ثلاث مستعمرات هي: ريشون لتسيون (الأولى في صهيون) ، وزخرون يعقوف (زمارين)، وروش بينا (رأس الزاوية). وفي السنة التالية، أقاموا يسود همعلا على شاطئ بحيرة الحولة ونيس تسيونا في الساحل الجنوبي، وكذلك جددوا الاستيطان في بيتح تكفا (ملبس). وفي سنة ١٨٨٤م أقاموا مستعمرة غديرا (قطرة) في السهل الساحل الجنوبي. وبعد توقف دام ستة أعوام، عادت حركة الاستيطان، وتجددت لفترة

١ "الصهيونية" اسم لحركة سياسية انتشرت بين يهود أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وتبلورت من فكرة مجردة إلى مشروع عمل استيطاني في فلسطين، يرمي إلى إقامة كيان سياسي لليهود فيها. واللفظ مشتق من كلمة "تسيون" العبرية، وهي اسم لجبل يقع جنوبي غربي القدس (جبل صهيون) يحج إليه اليهود لاعتقادهم أن الملك داود دفن هناك. وفي التراث اليهودي أن "يهوي" يسكن هناك، إذ يرد القول "رئنا للرب الساكن في صهيون" وبمرور الزمن صار الاسم يستعمل مجازا للقدس، واتسع ليشمل "الأرض المقدسة" (فلسطين) كلها. والمؤسس الحقيقي للصهيونية السياسية هو تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤)

٢ يعرف يهود فلسطين بالعبرية باسم "بيشوف". ومنذ توافد الهجرات اليهودية من روسيا وسواها، ولاسيما منذ سنة ١٨٨٢، أصبح يهود فلسطين يعرفون باسم "البيشوف القديم" تمييزا لهم من "البيشوف الجديد"

قصيرة (١٨٩٠-١٨٩١م) إذ أسست مستعمرة رحوفوت (ديران) إلى الجنوب من يافا، وموتسا بالقرب من القدس، وحديرا (الخصيرة) بين يافا وحيفا (١٨٩٤م). ولاحقا (١٨٩٦م) أقيمت مستعمرة بنير طوفيا (قسطينة) في الجنوب ومتولا (المطلة) في أقصى الشمال. وفي مطلع ستينات القرن التاسع عشر أخذ بعض المفكرين اليهود في الدعوة الى العمل من أجل "العودة" الى فلسطين واستعمارها، وكان أولهم الحاخام هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤) وذلك في كتابه "البحث عن صهيون" الصادر عام ١٨٦١م. وكانت نتيجة جهود كاليشر ان تأسست أول جمعية صهيونية في ألمانيا. وفي العام التالي قام مؤسس هس (١٨١٢-١٨٧٥) بنشر كتابه "روما والقدس" الذي نادى فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين. وفي ربيع سنة ١٨٨٢م تشكلت في روسيا أول حركة استيطانية صهيونية، هي حركة "بيلو"، التي اشتق اسمها من الأحرف الأولى للكلمات العبرية "بيت يعقوف لحو فلنخا" والتي تعني "هيا يا بيت يعقوب لنمضي معا" وبدأت الهجرة الصهيونية الأولى، التي انطلقت تحت اسم "بيلو" ثم غيرته إلى "أحباء صهيون" في روسيا ورومانيا وبولونيا.

وفي بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر، حدث الانعطاف الحاسم في العمل الصهيوني، إذ بدأت هجرة المستوطنين اليهود الجماعية إلى فلسطين، وراحت أعدادها تتزايد، وموجاتها تتوالى، قبل قيام إسرائيل (١٩٤٨م) وبعده. لما ظهر دولة امريكا على الساحة السياسية العالمية، دخل السفير الأمريكي لدى السلطان عبد الحميد وعاتبه على الشرط الذي في منع اليهود من الإقامة في فلسطين، ولم تكن امريكا حتى ذلك الوقت سوى دولة معزولة ليس لها أي نشاط عسكري أو سياسي في العالم، ولكنها تدخلت لصالح اليهود في أول ظهور لها. ولكن السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى رد على طلب السفير الأمريكي بقولته الشهيرة: (إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين ما دامت دولة الخلافة العثمانية العثمانية قائمة).

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، تزايدت وتيرة النشاط الصهيوني في الهجرة إلى فلسطين، وانطلقت "الهجرة الثانية" (١٩٠٤م)، وأساسا من أوروبا الشرقية. وكان المهاجرون في الأغلب من أبناء الطبقة الوسطى، الذين تأثروا بالأفكار الاشتراكية التي راجت في روسيا آنذاك، وبالتحديد بصيغتها "اليهودية-الصهيونية". بعدما سن القوانين وإصدار التشريعات، عمد المندوب السامي إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات الهادفة إلى تعزيز الاستيطان الصهيوني في البلد. فقد أصدر "قانون الهجرة" (١٩٢١م)، الذي يسمح بدخول ١٦٥٠٠ مهاجر يهودي إلى فلسطين سنويا. ثم جرى تعديل هذا القانون في السنوات ١٩٢١ و ١٩٢٥ و ١٩٣٣م لزيادة عدد المهاجرين المسموح لهم بدخول البلد. وكان التعديل الأخير سنة ١٩٣٣م ويسمح بدخول أكبر عدد ممكن من يهود أوروبا. وكذلك أصدر سامويل قانون نقل ملكية الأراضي (١٩٢٠م) بغية تسهيل استملاك الأرض من قبل المؤسسات الاستيطانية الصهيونية. كما أصدر القوانين التي تضيق الخناق على الفلاحين العرب، مثل "قانون أراضي المحلول" الذي يمنع الفلاحين من توسيع أراضيهم الزراعية، كما كانت العادة في أيام الأتراك. وكذلك "قانون الأرض الموات" الذي يحظر على الفلاحين ضم "الموات" إلى ملكيتهم.

ولتسهيل سيطرة الاستيطان الصهيوني على نواحي الحياة في فلسطين، اعترفت إدارة الانتداب البريطاني بالمؤسسات الصهيونية التي أقيمت لذلك الهدف. ومن بين هذه المؤسسات: الوكالة اليهودية، التي مهمتها تهويد السكان عبر الهجرة والاستيطان، والصندوق القومي اليهودي (هكيرن هكيمت) لتهويد الأرض عبر الاستملاك بشتى الوسائل، ونقابة العمال اليهود (الهستدروت) لتهويد العمل والاقتصاد. وعلاوة على ذلك منحت إدارة الانتداب امتيازات على أراض واسعة وموارد طبيعية لشركات استيطانية صهيونية، لتقام عليها مشاريع الري والكهرباء واستخراج المعادن والأملاح وصناعة الأسمنت وغيرها. وفي المقابل لم يمنح امتياز واحد للعرب الفلسطينيين، بل على العكس، جرى التضيق على أصحاب

بعض المشاريع الصغيرة لإكراههم على بيعها، كما حدث مع شركة كهرباء القدس ومشروع ري الحولة (عين الملاحه) والحمة (المياه الكبريتية).

وفي سنة ١٩٢٠م، (الذي انعقد فيها مؤتمر لندن) أصدر "قانون نقل ملكية الأراضي"، وفي السنة، فتحت دائرة تسجيل الأراضي التي كانت مغلقة منذ الاحتلال البريطاني (١٩١٧م). كما اعترفت حكومة الانتداب بالصندوق القومي اليهودي على أنه "موسسة ذات أهداف تخدم المصلحة العامة"، وتم تسجيله كشركة مخولة للعمل على شراء وتطوير الأراضي في فلسطين. وهكذا راحت ممتلكات الصندوق تتوسع من ٢٢٣٦٣ دونما في نهاية سنة ١٩٢٠م، إلى ٢٧٨٦٢٧ دونما في سنة ١٩٣٠م، إلى ٥١٥٩٥٠ دونما في سنة ١٩٤٠م، وإلى ٩٣٦٠٠٠ دونم في ١٩٤٨م. فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود بالرسمي حتى عام ١٩٢٩م، ٩٩٨٠٦ مهاجرين، وبلغ عددهم ٢٨٢٦٤٥ مهاجرا حتى عام ١٩٣٦م، وارتفع عددهم في عام ١٩٤٦م إلى ٤٠٥٤٤١ مهاجرا يهوديا. يضاف إلى هذا العدد ٢٥ ألف مهاجر دخلوا البلاد مع الجيش البريطاني أثناء الاحتلال، و(٨٨٥٣٠) دخلوا البلاد مهريين خلال عهد آرثر واكهورب بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٦. ارتفع عدد اليهود في فلسطين من ٥٠ ألفا عام ١٩١٨م إلى ٦٢٩ ألف يهودي عام ١٩٤٧م، حسب آخر احصاء بريطاني.

وفي نهاية شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٤٦م امتلك اليهود من أراض فلسطين ١٨٠٧٠٠٠ دونم. وتوزع الدونمات، حسب الحصول عليها كما يلي: ١٧٥٠٠٠ دونم: أجرتها الحكومة للوكالة اليهودية، و ٣٢٥٠٠٠٠ دونم: منحتها الحكومة للوكالة اليهودية من امتلاك الدولة، و ٤٢٠٦٠٠٠ دونم: باع العرب هذه المساحة في وقت لم يعلموا فيه شيئا عن الغايات الصهيونية، و ٢٦١٤٠٠٠ دونم: مساحة الأراضي التي اشتراها اليهود من عرب فلسطين. وبعضها نتيجة لقانون نزع الملكية وتنفيذا لأحكام أصدرتها المحاكم المختصة، أو لظروف اقتصادية بالغة القسوة والشدة، و ٦٢٥٠٠٠٠ دونم: ما باعه الإقطاعيون من بعض اللبنانيين من غير أهل فلسطين وهكذا امتلكوا بالمجموع ١٨٠٧٠٠٠ من الدونمات.

#### المصادر والمراجع العربية

1. "وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية: من أوراق أكرم زعيتر". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1979 .
2. ابو عسل، إيلي ليفي. "يقظة العالم اليهودي". القاهرة: مطبعة النظام بمصر، 1934.
3. البرغوثي، عمر الصالح، و خليل طوطح. "تاريخ فلسطين".
4. التونسي، محمد. "الخطر اليهودي. بروتوكولات حكماء صهيون". القاهرة. مطبعة دار الكتب العربي، 1951.
5. الحوت، بيان نويهض. "الشيخ المجاهد عز الدين القسام في تاريخ فلسطين". بيروت: دارالاستقلال، 1987.
6. خان، ظفر الاسلام. "تاريخ فلسطين القديم: منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي". بيروت، 1973.
7. خان، ظفر الاسلام. "التلمود: تاريخه وتعاليمه". الطبعة الخامسة. بيروت: دار النفانس، 1984م.
8. الدباغ، مصطفى مراد. "بلادنا فلسطين". الجزء الأول، القسم الأول. بيروت: دار الطليعة، 1965.
9. رزوق، اسعد. "التلمود والصهيونية". بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، 1970.
10. الرشيدات، شفيق. "فلسطين: تاريخا وعبرة ومصيرا". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.
11. شوفاتي، الياس. "الموجز في تاريخ فلسطين السياسي". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1996.
12. المسيري، عبد الوهاب. "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية". القاهرة، 1974.
13. السويدان، طارق. "فلسطين: التاريخ المصور". الإبداع الفكري، 2004.
14. الكيالي، عبد الوهاب. "تاريخ فلسطين الحديث". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١٠، 1990.
15. الحوت، بيان نويهض. "فلسطين: قضية الشعب الحضارة". بيروت: دار الاستقرار، الطبعة الأولى، 1991.